الاستراتيجية الصّهيونيّة في الشرق الأوسط والمشروع الصهيو-أمريكي

أ.د. نعمان عاطف عمرو
جامعة القدس المفتوحة – فلسطين

د. عبد الكـــــريم نجـم
المجلس الصوفي الإسلامي الأعلى في بيت المقدس والدّيار الفلسطينية

مستخلص:

ظهرت الصّهيونيّة في نهاية القرن التاسع عشر في أوروبا في محاولة لإحياء التراث اليهودي، وتحديد معالم الوطن القومي الذي يريدون، حيث كانت ركائزهم على التراث اليهودي لتحديد الأرض المقدّسة كما وردت في كتاب التوراة- حسب ادعائهم- ورفعت شعار فلسطين وداود وسليمان، وعبّر (هيرتسل) عن مساحة تلك الأرض بأنها التي تمتد من النيل إلى الفرات.كان هدف الصّهيونيّة العالميّة في أواخر القرن التاسع عشر سياسيًا بالدرجة الأولى، والمعلن عنه هو العودة إلى فلسطين لأجل إقامة دولة يهودية فيها، وقد تأثرت الحركة الصّهيونيّة العالميّة بالنزعة القوميّة العنصريّة في أوروبا.بدأت الصّهيونيّة العالميّة بتأسيس المؤسسات الخاصة بها لتحقيق أهدافها، وخلال بحث هذه المؤسسات عن الدعم الدوليّ التـــقت مع المصالح الاستعماريّة الإمبرياليّة التي مثّـــلتها بريطانيا، والتي حدّدت أهدافها الاستعماريّة في فلسطين؛ لتكون نقطة انطلاق نحو برنامج استعماريّ أكبر، ليشمل المنطقة العربيّة بأكملها.شكّلت بريطانيا في هذا الإطار لجنة لبحث المصالح الاستعماريّة فيما بينها؛ نتج عنها تقرير بنرمان؛ كان أهم ما جاء فيه ضرورة فصل الجزء الآسيوي عن الجزء الإفريقي في العالم العربيّ، وهذا من خلال إقامة حاجز بشريّ على الجسر البريّ الذي يربط آسيا بإفريقيا، ويصلها بالبحر الأبيض المتوسط، لإيجاد قوة موالية لبريطانيا قريبة من قناة السويس تَحوْل دون وحدة العالم العربيّ.كانت هذه التوصية بداية الالتقاء ما بين المصالح البريطانيّة الإمبرياليّة والتجزئة الصّهيونيّة التي حددت فلسطين نقطة ارتكاز للسيطرة على العالم العربيّ، وتعمل على تمزيق العالم العربيّ لِيَسهل السيطرة عليه، ومن هنا وُلِد التحالف العنصريّ بين الصّهيونيّة والإمبرياليّة للعبث في مستقبل الوطن العربيّ وتجزئته.عملت بريطانيا الإمبرياليّة على تحقيق هذه الأهداف من خلال العديد من الآليات، أهمها:اتفاقية سايكس- بيكو، ووعد بلفور، ومناطق النفوذ البريطانيّ والفرنسيّ حتّى الحرب العالميّة الثانية عندما انتقل نفوذ الإمبرياليّة عام 1942م إلى أمريكا لتتبنى الأهداف الصّهيونيّة، وظهور مصطلحات جديدة مثل (الشرق الأوسط).ويُعّدّ قيام دولة الكيان الصهيونيّ عام 1948م، بُعداً جديداً لمصطلح (الشرق الأوسط)، يهدف إلى دمج الكيان الجديد والغريب عن المنطقة العربيّة بدولها وشعوبها للاستمرار في التجزئة، ويحل مشكلة اندماج اليهود في المجتمعات الأوروبيّة، وسعي الحركة الصّهيونيّة لإنشاء كيان صهيوني في فلسطين، وبرز التقاطع بين الاستعمار البريطانيّ والفرنسيّ الإمبرياليّ مع الحركة الصّهيونيّة من جديد على هيئتين هما: أولها تجزئة المنطقة العربية من جهة وحلّ المشكلة اليهوديّة في أوروبا من جهةٍ أخرى والتي تصبّ في الأهداف السّابقة.ظهور المشروع الصّهيو- أمريكي للدول العربيّة كان من خلال برنامج (برنارد لويس)، وتقديمه للكونغرس الأمريكي عام 1983م، وتمت المصادقة عليه بأغلبية كبيرة. وبالموافقة الأمريكيّة على برنامج (برنارد لويس) بدأ وضع الخطط لتقسيم الوطن العربيّ لتصب في مصلحة الاستراتيجيّة الصّهيونيّة.

وكان من أهم هذه الخطط: تفجير المنطقة بحروب طائفيّة ومذهبيّة وقوميّة وأثنية أيضاً، تؤدي في حال نجاحها، إلى تشظي المنطقة وتفتيتها إلى دويلاتٍ وكياناتٍ ضعيفة متصارعة أولاً، وفتح الطريق إلى التدخلات الخارجية ثانياً.ويضاف إلى ذلك وثيقة (عوديد ينون) التي وضعت الاستراتيجيّة الصّهيونيّة للشرق الأوسط، عام 1982م، وتهدف إلى:تفتيت الوطن العربي لإضعافه وتسهيل السيطرة عليه.توسيع دائرة الاستيطان في الضفة الغربيّة، وضمها قطاع غزة إلى دولة الكيان الغاصب.تقوية دولة الاحتلال الصّهيونيّ، وتوسيع حدودها في المنطقة المتصارعة.ونعتقد أنّ ما يجري في الشرق الأوسط الآن ما هو إلّا خطة محكمة، وضعتها الدوائر الصّهيو- أمريكية لاستمرار سيطرة الاستعمار على مقدّرات الأمة منطلقة من فلسطين، وستحاول الدراسة الإجابة عن السؤال الآتي: ما هي سبل مواجهة الاستراتيجية الصهيو- أمركية في المنطقة وطرق إفشالها؟ وباتباع تلك السّبل في المواجهة تستنهض الأمة قوتها وتتخلص من الاستسلام. إنّ الرؤية الصّهيو- أمريكية لتفوّق دولة إسرائيل النوعيّ على مدار خمسين عامًا القادمة ما هو إلّا تكملة لاستمرار تفتيت المشرق العربي والسيطرة على خيراته. كما أنّ مشروع الشرق الأوسط الجديد هو مشروع صهيونيّ أمريكيّ في الأساس، يستهدف ترتيب أوضاع المنطقة كلها لمصلحة تحالفها الوطيد؛ وعليه كان الخلاص فيما طُرح وما زال من مشاريع صهيو- أمريكية لتثبيت مساعيها ودفع المنطقة العربية في طريق التفتيت أكثر وأكثر، ومن ثمّ إعادة تركيبها في إطار(الشرق الأوسط الجديد)، يكون من خلال بناء منظمات ومناطق للتعاون الاقتصاديّ والعربيّ وفصل بلدان المشرق عن بلدان العالم العربيّ، وشمول إسرائيل بالمشرق الجديد، بحيث تكون في أساس نسق تعاون اقتصاديّ، والذي يمهد لمرحلةٍ جديدة تكون فيه دولة الاحتلال ضمن هذا التعاون وبذلك تكتسب شرعية وجودها.

الكلمات المفتاحية: الاستراتيجية الصهيونية، الشرق الأوسط، الصهيو- أمريكي.

The Zionist strategy in the Middle East and the Zionist –American project

Prof. Numan Atef Amro
Dr.Abed Al Kareem Mohammad Nejem

Abstract

The emergence of the Zionist movement in the nineteenth century in Europe was aimed at cooperating with imperialism to achieve its agendas in the East and to solve the Jews issue in Europe.In this convergence, the common interests between Zionism and imperialism were found. These interests worked to achieve the aims of each of them and the common goals between them, which also differed from one stage to another. The Zionist and imperialist goals before the catastrophe of 1948 AD were a response to the requirements of the stage, and different from what followed it in the local and global context.The common interests worked to set Palestine as a focal point for controlling the Arab world, and through it, Britain worked mainly to achieve imperialist co-

lonial goals in cooperation with Zionism. The Sykes-Picot Agreement of the year 1916, the Balfour Declaration of the year 1917, and Anglo-Franco influence until World War II constituted a turning point for the United States of America's adoption of the Zionist goals. Developing the term "New Middle East" and "the Zionist-American project," worked to support the Zionist strategy in controlling the Eastern Arab World; increasing its traditional qualitative superiority and preserving its nuclear superiority. This has served the Zionist-American project in fragmenting the region on ethnic, religious, and sectarian grounds. This in which turned the state of the entity into a dominant regional state that creates alliances to achieve its interests and the interests of the United States of America, all under the excuse of confronting Iran and its nuclear program.
key words: Zionist strategy، The Middle East ، American Zionism.

مقدمة:

لم تعتمد نشأة الحركة الصّهيونيّة في أوروبا بالدرجة الأولى على ذكاء وفطنة وتديّـــن الرواد الأوائل للصّهيونيّة، بل كان ضمن نسق استعماريّ يهدف إلى تمزيق المنطقة والسيطرة على ثرواتها الطبيعية، من خلال زرع جسم غريب فيها يحظى بدعم الامبرياليّة الاستعماريّة وموالي لها، لتقوم بهذه الوظيفة ومساندتها.

كان هذا الجسم متأثراً بالحركات القوميّة الأوروبيّة؛ حيث قام باستغلال الدين اليهوديّ بالتعاون مع الصّهيونيّة المسيحيّة عن طريق إحياء ما جاء في العهد القديم، وإيجاد علاقة عضويّة بين الإمبرياليّة والصّهيونيّة لتحقيق أهداف الصّهيونيّة في المشرق العربيّ. وبحثُنا هذا يهدف إلى إلقاء الضوء على الاستراتيجيّة الصّهيونيّة، بعد إقامة دولة الاحتلال عام 1948م ودور إسرائيل في المشروع الصهيو- أمريكي لتفتيت المنطقة- التي سبق وأن قُسّمت في اتفاقيات سايكس-بيكو- وتقسيمها تقسيماً جديداً، على أسس عرقيّة ومذهبيّة وطائفيّة تسهل السيطرة عليها، وتعمل على دمج إسرائيل فيها وحصولها على الشرعيّة لعملية الاندماج والسيطرة من خلال خططها التوسعيّة، وتتحول بذلك إلى قوة إقليميّة إمبرياليّة تقوم بوظيفتها لصالح الإمبرياليّة. وإنّ ما يحدث في الوطن العربي ما هو إلّا مخطط مُحكم لإعادة تفكيك وتركيب هذه المنطقة لخدمة المشروع الصهيو- أمريكيّ، الذي أُطلق عليه مشروع الشرق الأوسط ليقوم على هدم المرجعيات وإلغاء الهُوية الجمعية للمنطقة، سواء كان ضمن هُويّة القوميّة العربيّة أو هُويتها الإسلاميّة.

إنّ هذا المشروع يعزز عملية الانفصال بين شرق الوطن العربيّ وغربه، وإعادة تشكيله ليخدم خطة المشروع الاستعماريّ؛ لإيجاد منطقة نفوذ وتعاون اقتصاديّ تقوم فيه دولة الكيان الغاصب في فلسطين بدور قياديّ سياسيّ واقتصاديّ وثقافيّ واجتماعيّ مستغلة بذلك التنوع الإثنيّ والطائفيّ الموجود في المنطقة من أجل تحقيق أهدافها. ورغم تبني هذا المشروع من قِبل الولايات المتحدة الأمريكيّة، وعملها على تطبيقه من خلال سياستها الاستراتيجيّة إلّا أنّ هناك مخاوف من فشل المشروع على ضوء المجريات التي حدثت في العراق وأفغانستان وسوريا ولبنان وفلسطين، لذا تحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

1-ما هي الاستراتيجية الصهيونية في المشرق العربي؟

2-ما هو المشروع الصهيو-أمريكي؟

3-ما هو دور إسرائيل في المشروع الصهيو_ أمريكي؟

وفي الختام، فإنّ مشروع الشرق الأوسط كمصطلح يعزز المشروع الصهيو-أمريكي، هو ليس قدراً لهذه المنطقة، وإنما بالإمكان تعطيل هذا المشروع وإفشاله من خلال العمل ضمن المرجعية القوميّة العربيّة كهُوية جامعة للحفاظ على المنطقة وثرواتها واستغلالها، ورفع مستوى التعليم، وازدهار الاقتصاد وخفض مستوى البطالة والتصالح مع شعوبها من خلال إقامة نظام سياسي قائم على العدل والمساواة والشفافيّة.

الاستراتيجية الصّهيونيّة في الشرق الأوسط:

ما هي الصّهيونيّة:

لا يوجد تعريف موّحد للصهيونية؛ وذلك لاختلاف الثقافات والأهداف والمراحل التي مرّت بها، وأنّ الثقافات ارتبطت بالأماكن التي نشأت بها هذه الأفكار، والتي وضعت لها أهدافاً تتناسب والبيئة الثقافيّة والظروف التي مرت بها، لذا اختارت الأهداف التي تناسب البيئة الموضوعيّة التي نشأت بها. ويضاف إلى ذلك، أنّ المراحل التي مرّت بها الصّهيونيّة تختلف من مرحلةٍ إلى أخرى، للوصول إلى أهدافها الاستراتيجيّة التي خطط لها، ففي حين اعتبرَها بعض الكُتاب أنها حركة سياسيّة علمانيّة نشأت في أوروبا في القرون الثلاثة الأخيرة، واستخدمت الدين لتحقيق أهدافها(الكعيبر،2013 :16).

هذا التعريف يتناول الصّهيونيّة حسب ما قام به المؤسسون الأوائل للصّهيونيّة، ولا يتطرق إلى النشاطات المسيحيّة التي سبقت النشاط الذي قاده المؤسسون الأوائل لمعالجة المسألة اليهوديّة في أوروبا، والتي انطلقت من أهداف أوروبا السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والاستعماريّة.

في حين يتناول البعض الآخر الصّهيونيّة كمذهبٍ دينيّ، ودعوة سياسيّة اعتمدت على الإيمان بالتوراة وما تحويه من آراء قائمة على أنّ الله استخلف اليهود في الأرض وأورثهم فلسطين، وليس على اليهود المعاصرين سوى إقامة دولتهم أو مملكتهم الجديدة لتحقيق دعوة الرب وتوجيهاته، على اعتبار أنَّ اليهود شعب تمّ اضطهاده، وإخراجه من الأرض المقدسة (الكعيبر،2013 :16). وبالنظر إلى معارضة اليهود المتدينين لهذه الدعوة؛ فإننا نرجّح أن تكون الصّهيونيّة استغلت الدّين اليهوديّ لتنفيذ أهدافها بالاستناد إلى بعض المذاهب المسيحيّة التي أحيت كتاب العهد القديم، ولا سيما أنّ الرواد الأوائل للصّهيونيّة هم من غير المتدينين فعلاً . وهناك شكّ حول منْ أطلق هذه الدعوة التي وردت في العهد القديم؛ هل هم المسيحيون أم اليهود المتدينين؟ والأرجح أنّ هذه الدعوة بدأت من بعض المذاهب الدينيّة المسيحيّة ولا علاقة للمتدينين اليهود بها، خاصة وأنَّ جزء من اليهود المتدينين ما زال يعارض السير في طرح الصّهيونيّة المعاصرة.

أمّا (تيودور هيرتسل)؛ الأب الروحي للصّهيونيّة اعتبر أنها «حركة الشعب اليهودي في طريقه إلى فلسطين (المسيري،1999 :136). وعند التمعّن فيما قاله (تيودور هيرتسل)، العلمانيّ، نجد أنّه استند إلى بعض المذاهب المسيحيّة، وما نقله عنها بعض المفكّرين الصّهاينة من العهد القديم. وأيّ كان التعريف، وسواء كان متفَق عليه أم لا؛ فإن الصّهيونيّة كونها حركة علمانيّة سعت إلى تحقيق آمال الشعب اليهودي بالعودة إلى فلسطين وإقامة المملكة اليهودية، حسْبَ ما ورد في العهد القديم، بغض النظر عن من نادى بها أولاً، أو عن صحة ما ورد في العهد القديم من غيره.

أمّا الصّهيونيّة في المعنى الديني فإنها تشير إلى كلمة (صهيون)، والتي وردت في التراث الدينيّ اليهوديّ، على أنّها اسم لمكان في (القدس) وهو (جبل صهيون)، وممكن استخدامها للدلالة على القدس بشكل أوسع، أو إلى الارض المقدسة بشكل عام، وإنّ استخدامات اليهود أنفسهم لهذه الكلمة تدل على جماعة دينيّة، أي اليهود الذين تلقوا رسالة سيدنا موسى، وهي رسالة ربانيّة دينيّة تدل على جموع المؤمنين بهذه الرسالة، فإن دلالاتها واضحة على الجماعة الدينية المؤمنة بالرسالة وليست على شيء آخر.

بينما الصّهيونيّة كمصطلح، فإنّها ظهرت في أوروبا، خاصة في الأوساط البروتستانتيّة في بريطانيا في أواخر القرن السادس عشر، والتي ترى أنّ اليهود ليسوا جزءاً عضوياً من التشكيل الحضاريّ الغربيّ، ولا جزءاً من النسيج الاجتماعيّ الغربيّ، ولكن لهم حقوق وعليهم واجبات بسبب مكان الإقامة؛ فيُنظر إليهم على أنهم شعبٌ عضويّ، وطنه القدس في فلسطين، لذا يجب أن يهجّر إليه، وأنّ هذا الرأي ورد في العهد القديم وتبناه التيار الذي يطلق على نفسه (الصّهيونيّة المسيحية)، واستمر في تبني ذلك حتى بعد انتهاء فترة الحماس الدينيّ الذي رافق حركة الإصلاح الدينيّ في أوروبا (المسيري،1999 :14). وهذا التيار جزء من التيارات التي يطلق عليها صهيونيّة الأغيار، أو صهيونية غير اليهود والتي تؤمن بهذا المعتقد، وينبذون فكرة وجود اليهود في المجتمع الأوروبي، وينتشر أتباع هذا التيار حتى الآن في بريطانيا وأمريكا. ويعتقد مؤرخون آخرون أنّ إسرائيل كدولة هي نتاج الصّهيونيّة والاستعمار، ولا تمثل تتويجاً للتاريخ اليهوديّ؛ لأنها جزء من ظاهرة الاستعمار الكولونياليّ الغربيّ، والصّهيونيّة جزء ممّا حدث في أوروبا وهي تحاول أنْ تعبّر عن القومية كجزء من ظاهرة القوميّات الرومانسيّة في أوروبا، وأن مشروعها في فلسطين هو مشروع استعماريّ في جوهره، وأنّ حل الصراع في فلسطين لن ينتهي إلّا بوجود مشروع لنزع الاستعمار عن هذا الجزء من آسيا الغربية (م. رابكين،2021 :7). ولتوضيح العلاقة بين جزء من المذاهب المسيحيّة وبخاصة المذهب البروتستانتي واليهوديّة وما مرّ عليها من تطورات، لا بد لنا من العودة للحديث عن جذورها فيما يلي:

اليهود في التراث الدينيّ المسيحيّ:

إنّ ايمان المذهب البروتستانتي المسيحيّ بعودة المسيح المنتظر واشتراط هذه العودة بإقامة دولة تجمع اليهود في أرض فلسطين، كان وما زال يؤدي دوراً سياسياً هاماً في العالم المسيحيّ المؤمن بالمذهب البروتستانتي نتج عنه ثلاثة مواقف هامة وهي:

1. دعم الصّهيونيّة.
2. تهجير اليهود.
3. دعم ومساندة هذه الدولة وقيامها في فلسطين.

ونجد أنّ هذا المعتقد الدينيّ المسيحيّ، ما يزال منتشر بقوة في بريطانيا وأمريكا وما زال يدعم التوجه السياسي بإقامة دولة اسرائيل على أرض فلسطين، وتهجير اليهود إليها ودعمها كمعتقد ديني في الأساس، فإنّ عدم تبدل موقف بعض الدول التي تؤمن بهذا المعتقد الدينيّ جعلها تضيف إليها بعض الأسباب السياسيّة مثل المصالح الاستعماريّة في المنطقة، بسبب موقعها الاستراتيجيّ أو المصالح الاقتصادية الناتجة عن ثروات المنطقة. ولكنّ هذه الأسباب سياسية، ومن شأنها أن تتبدل، ولكن الثابت هو المعتقد الديني والذي ظهر بشكل قوي بعد عصر النهضة، وما زال موقفها ثابتاً لارتباطه بالعقيدة المسيحيّة خاصة

المذهب البروتستانتي تحديداً. خاصة بوجود المذهب البروتستانتي الآن في أمريكا وبريطانيا بشكل أساسي (النايف،2019: 240). ويؤمن هذا التيار الدينيّ كذلك بأن اليهود هم شعب الله المختار، وأنّ هذا الإيمان أدى دوراً هاماً في إعفاء اليهود كشعب مقدس من القوانين والمواثيق الدوليّة، بسبب رعايتهم من قِبل القوانين الإلهيّة. (النايف،2019 :240). وهذا يفسر تساهل النظام الدوليّ والمؤسسات الدوليّة، مع تجاوزات دولتهم مع اختراقاتها للقوانين الدوليّة؛ لأن هذا المعتقد الدينيّ لديهم يُـفَـسَّـرْ على أنّ القوانين الوضعية لا تُـطَـبّق على الشعب المقدّس، وهم اليهود حسب هذا المعتقد. وأنّ منطق الصّهيونيّة اليهودية والصّهيونيّة المسيحيّة التقت على مبدأ تطبيق شريعة الله، التي تطبق على شعب الله المختار، وبما أنّ شريعة الله تنص على منح اليهود الأرض المقدسة، في العهد الذي قطعه الرب لإبراهيم وذريته حتى تقوم الساعة (النايف،2019 :240). وإنّ أيّ تعارض بين القوانين الإنسانية الوضعية مع شريعة الله، فإن شريعة الله وحدها هي التي يجب أن تطبق على اليهود في فلسطين، ويظهر هنا استخدام الدّين في غير مكانه على جغرافيا تخدم مصالح الإمبرياليّة؛ على اعتبار أنها وردت في الكتاب المقدس العهد القديم، رغم عدم وجود صلة بين من تَلقوا العهد من المؤمنين وبين من يقومون بتطبيق هذا العهد الآن وغالبيتهم غير مؤمنين.

مّما سبق نرى أن حركة الاصلاح الدينيّ في أمريكا، والتي كانت مغايرة للمبادئ الكاثوليكية والأرثدوكسية في موقفها من اليهود، قد أسهمت بشكل فعّال في بعث اليهودية من جديد، والتي استغلتها الصّهيونيّة فيما بعد. وإنّ حركة الإصلاح الديني البروتستانتي هي التي روجت لليهود كأمة وأكدت ضرورة عودتها إلى فلسطين كقدمة لعودة المسيح المنتظر(النايف،2019: 41). ورغم أنّ العهد القديم نزل على جموع المؤمنين برسالة سيدنا موسى –عليه السلام- وهم اتباع ديانة ورسالة وليسوا أمة.

يتضّح من ذلك أنّ المسيحية مرّت بعملية تهويد ممنهجة منذ حركة الإصلاح الدينيّ في أوروبا، وللدلالة على ذلك ما قامت به البروتستانتية من عملية إحياء للتراث الديني في العهد القديم وجعلها جزء أساسي من عقيدتها التي تدور على عودة المسيح المخلِّص الذي سيحكم العالم ألف عام، يسود خلالها العدل في المجتمع الإنساني والحيواني، وقد حدث هذا في المذهب البروتستانتي المسيحيّ رغم وجود مذاهب أخرى معارضة لهذا التوجه خاصة البروتستانتية والكاثوليك وغيرها.

نشأة الصّهيونيّة وأهدافها:

ظهرت الصّهيونيّة والصّهاينة كتعبير على يد الكاتب (ناتان بيرنباوم) عام 1893م، وكلمة (صهيون) مشتقة من لفظة صهيون القديمة، التي تطلق على اسم قلعة في القدس، وكان هدفها الدلالة على القدس والمعبد المقدس أو على جبل صهيون، ثم توسع اللفظ للدلالة على الأرض المقدسة في فلسطين بأكملها (الكعيبر،2013 :15).

أمّا كلمة الصّهاينة فهي كلمة تطلق على أتباع الصّهيونيّة الذين يؤمنون بأن اليهود شعب، ويؤيد إقامة دولة خاصة به فوق أرض فلسطين المقدّس، سواء كان هؤلاء الأتباع من اليهود أو من المسيحيين أو من المسلمين؛ بمعنى أنّ الصّهاينة دلالتها لا تقتصر على اليهود فقط بل تتعداهم لأتباع الفكرة من غير اليهود

وخاصة من المسيحيين والإسلام.ويعتقد بعض الكتاب والمفكرين أنها حركة أكثر تعقيداً، وتتكون من ثلاثة عناصر أساسية وهي: الأول: السياسات اللاهوتية التي تنطلق من معتقدات دينيّة عقائديّة لها تفسيرها الخاص لكتاب العهد القديم، والثاني: الاستعمار الاستيطاني الذي ينطلق من اصطناع قوميّة استعماريّة لليهود في فلسطين، أمّا العنصر الثالث: فهو عملية المزج بين القوميّ والدينيّ، ويطلق عليه اسم الازدواج القومي، وهو يربط بين قوى الاستعمار الامبرياليّ، ودولة الكيان الغاصب في فلسطين من خلال مصالح مشتركة تجعل الصهيونيّ دائم الارتباط والانشداد الى تلك القوى وموطنها الغربيّ في أوروبا. (الكعيبر،2013: 16). لذلك ذهب بعض المفكرين والكتّاب إلى تعريف الصّهيونيّة بأنها المولود الشرعيّ والطبيعيّ لمرحلة الاستعمار الغربيّ، لذلك نجد أنّ الصّهاينة استخدموا الرموز والافكار الدينيّة وحولوها إلى رموز صهيونيّة لتخدم أهدافهم الاستعماريّة، وحولوا الانشداد الدينيّ للأساطير القديمة بما يتواءم مع التطورات الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة في أوروبا.

لقد بلورت الحركة الصّهيونيّة استراتيجيات للعمل، وهذه الاستراتيجيات تعتمد على ذرائع عَقَدية مستمَدّة من العهد القديم، وهي تعمل على تطوير هذه الاستراتيجيات لتتناسب ومصالحها فيما حققته من أهداف مرحلية، وكذلك لتتناسب مع حاجة الدول الاستعماريّة التي ارتبطت معها وما زالت مشدودة إليها.

لا يتسع الحديث هنا عن تلك الاستراتيجيات التي أسهمت في تهجير اليهود وتجميعهم في فلسطين وإقامة الدولة، وإن هذه الاستراتيجيات تناغمت مع القرارات الدوليّة ذات الشأن في كل مرحلة، وإنما لا بد من الحديث عن الاستراتيجيّة الخاصة بتقوية وتمكين الدولة وتوسيعها من خلال التعاون مع الامبرياليّة؛ فالاستراتيجيّات تحولت الى مخططات وعمل مستمر لتحقيق الأحلام الصّهيونيّة المزعومة وتحويلها إلى حقائق على أرض فلسطين، ومن ثم إلى الأراضي العربية المحيطة بها، لذلك فإن التوسع هو هدف استراتيجي متجدد تشارك به المؤسسات الصّهيونيّة ومؤسسات دولة اسرائيل والإمبرياليّة العالميّة، وهو يشكل جوهر الفكر السياسيّ الصهيونيّ، حيث انعكس ذلك على البرامج السياسيّة للأحزاب الصّهيونيّة، والقوى الاسرائيلية في الداخل والخارج كافّة. (حسين،1989 :11). ومن خلال هذه الاستراتيجيّة التوسعية المستندة إلى العهد القديم، نجد أنّها حددت اسم (إسرائيل الكبرى) حسب ما ورد في العهد القديم، والتي تشكل الشعار الرئيسي للتوسع الاستعماريّ المخطط له، والتي هي عبارة عن حدود متخيَّلة وردت في العهد القديم على اعتبار أنها ميثاق ربانيّ من النيل الى الفرات. (العهد القديم سفر التكوين، إصحاح 15، فقرة 18) والحقيقة أنّ هذه حدود متخيّلة لم يسبق أنْ حُكمت من قِبل اليهود في أي من العصور. وإذا كانت استراتيجيّة التوسع الصهيونيّ تعتمد في الدرجة الأولى على العهد القديم من الكتاب المقدس، التوراة، فإنّ للتلمود شأن في ذلك، ويُعتمد عليه كذلك في استراتيجيات الحركة الصّهيونيّة، والتلمود هو مجموعة من الأحكام والوصايا المدنيّة والدينيّة التي يلتزم بها اليهود، وربما لدى البعض منهم هو التزام بمضمون العهد القديم، حيث كان للتلمود الأثر الأكبر في إظهار ظاهرة التوسع القوميّ لدى معظم اليهود الذين يفضلون قراءته والإيمان به على التوراة. ومن التلمود أُخذ بأن اليهود شعب الله المختار، أي أنّه مفضل على شعوب الأرض كافة، وهم يستأثرون بهذه الخاصية دون سواهم من شعوب الأرض، لذلك يسمح لهم بالتوسع على حساب الشعوب الأخرى. (حسين،1989 :16). وفي هذا التفسير مجافاة للحقيقة التي أثبتتها علوم الأجناس البشرية والآثار، والتي لا

تجد أي صلة بين يهود اليوم ويهود الأمس الذين آمنوا برسالة سيدنا موسى – عليه السلام- لا من حيث العرق ولا الإيمان ولا التسلسل التاريخيّ.

أمّا الحق التاريخي الذي يزعمه اليهود وتثبته الصّهيونيّة بالعودة إلى فلسطين المقدسة، هو إعادة بناء هيكل سليمان بعدما أقام العبرانيون مملكتهم فيها، والتي دامت ثمانون عاماً إثر مغادرتهم مصر حوالي عام 1200 قبل الميلاد. (حسين،1989 :17).

إنّ القصص التي وردت في الكتب المقدسة بما فيها القرآن الكريم، وردت لاستخلاص العبر، وليس لتكون شاهداً تاريخياً على الأحداث، كونها لم تتطرق إلى التفصيلات العددية ولا الوجهة،، وأن علم الآثار لم يثبت أي صلة بين ما كان في فلسطين ويهود اليوم والصّهيونيّة، وإنما الصّهيونيّة ويهود اليوم مرتبطة أكثر بالاستعمار الإمبرياليّ وليس بالآثار ولا الكتب المقدسة، وأن دولة إسرائيل لا تشكل امتداد ديني ليهود الأمس، بل هي ظاهرة استعمارية غربية منذ بدايتها حتى اللحظة، وتقوم بوظيفة استعماريّة كلّفتها بها الصّهيونيّة والامبرياليّة بعد ارتباطها الوثيق، وأن قصة شعب الله المختار ما هي إلّا ادعاء عنصري يخدم الأهداف الاستعماريّة ، وأن اليهود ليسوا أمة، بل ديانة. ويظهر ذلك بشكل جلي، من خلال الادعاء بالحق القانوني الذي استند إلى وعد بلفور الاستعماري، وإنّ صك الانتداب البريطاني على فلسطين الذي أقره مجلس عصبة الأمم بتاريخ 24/7/ 1922م تضمّن في مقدمته إشارة صريحة الى تنفيذ وعد بلفور، وذلك يُعتبر منافيا لميثاق عصبة الأمم الذي يعتبر الانتداب مقدمة للاستقلال، وإنّ الذريعة القانونية تجاهلت حق الشعب الفلسطيني الموجود تاريخياً وتجاوز ذلك باعتبار الديانة اليهودية التبشيرية هي شعب وقومية، وهذا يدل على أنّ هذه فكرة استعمارية استيطانية توسيعية رفضها جزء من اليهود أنفسهم (حسين،1989 :18)، وإنّ الادعاءات الدينية والتلمودية والتاريخية والقانونية في الحقيقة تستند إلى فكر الاستعمار الاستيطاني الذي خططت له الإمبريالية والصّهيونيّة، ونُـــــفذ على يد اليهود والصّهيونيّة باسم الاستعمار لا باسم الدين. ما أدّى إلى احتلال فلسطين وإقامة دولة الكيان الصهيوني عليها، وبدأت هذه الدولة في استكمال الاستراتيجية التوسعية الاستعماريّة من خلال استمرار الهجرة وتقوية الدولة لتستمر في وظيفتها من خلال واقع على الأرض، بدأ يأخذ شرعيّة وجوده من خلال مجموعة قوانين عنصرية لتثبيت هذا الوجود، وأهمها ما يلي:

1- مصادرة الأرض الفلسطينية واستمرار الهجرة لإيجاد واقع استعماري جديد.

حيث أقر الكنيست الإسرائيلي بعد نكبة عام 1948م عدة قوانين؛ منها قانون العودة وقانون الجنسية الإسرائيلية دون قيد أو شرط لتشجيع الاستيطان وزيادة عدد السكان. بينما طبقت حكومة الاحتلال قانون استملاك الأراضي عام 1953م الذي بموجبه أصبحت الأراضي الزراعية عرضة للمصادرة بحجة عدم تمكن الفلسطينيين من تعميرها. (حسين،1989: 39) وأصبحت هذه القوانين تخدم الأهداف الاستعماريّة بتجميع اليهود في فلسطين. وكان قد سبق هذا القانون اتفاقية الهدنة ونشاط المؤسسات الاستيطانية الصّهيونيّة لبناء مستوطنات لاستيعاب المهاجرين الجدد، حيث أن مجموعة منهم بنت (587) مستوطنة إضافية في المناطق الفلسطينية التي ضمتها إسرائيل بالقوة خارج حدود التقسيم، في حين بذلت المؤسسات الصّهيونيّة بالتعاون مع دولة الاحتلال السبل كافة، ومن ضمنها المجازر لدفع الفلسطينيين إلى ترك أرضهم.(حسين،1989: 40) لتحقيق الأهداف نفسها من خلال إيجاد واقع ديمغرافي جديد.

المراحل التي مرّت بها الحركة الصّهيونيّة لتحقيق أهدافها التوسعية:

1- مرحلة إثارة الحنين العاطفيّ لليهود وتهدف إلى إيجاد إطار فكري لتجميعهم.
2- مرحلة انطلاق الصّهيونيّة المنظمة، حيث بدأ العمل لتجميع اليهود حول الفكرة الصّهيونيّة.
3- مرحلة إقامة الوطن القومي؛ وهي مرحلة العمل السياسيّ والعسكريّ لبلورة مؤسسات الدولة.
4- مرحلة إقامة دولة اسرائيل (حسين،1989: 45).

ومع إقامة الدولة بدأ النشاط الدبلوماسي والعسكري للتوسع، بدءاً من التوسع خارج أطار التقسيم وصولاً الى التوسع بالحرب، ليكون الهدف تحقيق ذلك التوسع بأي شكل من الأشكال.

وإذا كانت إقامة دولة الاحتلال قد عبّرت عن حجم الدعم الاستعماري لها لتحقيق أهدافها، فإن التوسع كشف عن مدى استمرار هذا الدعم والمساندة والإصرار عليها. وإذا كان هذا مرتبط بالمصالح فإنها متغيرة مع الزمن ولكن استمرارية هذا الدعم تعني أنَّ الارتباط العقائدي ثابت، وعزز ذلك وصول مجموعة من الرؤساء الذين يؤمنون بهذا الفكر، وهذا ما يفسر كونهم صهيونيون أكثر من اليهود الصهاينة أنفسهم.

-المخططات الصّهيونيّة للمنطقة العربية بعد حرب 1967م:

تركزت المخططات الصّهيونيّة بعد حرب عام 1967م في بعدين في الاستراتيجية الصّهيونيّة.

1. التوسع خارج حدود الدولة المقاومة بما اشتملته من أراضي تم احتلالها.
2. ايجاد أطر ومرجعيات للتعاون السياسيّ والاقتصاديّ في المنطقة لتثبيت وجودها في الأراضي المحتلة عام 1967م ولتحقيق ذلك كانت تطرح العديد من الافكار منها:

1. في نهاية ستينيات القرن الماضي طرح حزب العمل الإسرائيلي فكرة إقامة اتحاد إسرائيليّ فلسطينيّ أردنيّ على غرار اتحاد (نيبلولس NeBelokes) بين بلجيكا وهولندا ولوكمبورج كأول طرح لإيجاد وحدة سياسية قائمة على التعاون.
2. في عام 1975م وضع (جاد يعقوبي) وزير المواصلات في حكومة الاحتلال برئاسة رابين، مخططاً سرياً للتعاون الإقليمي في مجال المواصلات بين إسرائيل والأردن ومصر، وتم بحث هذا الاقتراح ضمن هيئات رسمية إسرائيلية ويهدف إلى التعاون الإقليمي في منطقة الشرق الأوسط في مجال المواصلات ويتضمن التعاون بين مطارَي العقبة وايلات وإقامة مطار جديد مشترك في مرحلة لاحقة في الأردن يشمل برج مراقبة مشترك، وربط ميناء حيفا بواسطة سكة حديد وإيجاد اتصال بريّ مع ميناء أسدود (حسين،1989 :18).
3. في العام 1977م وضع (يعقوب مريدور) وزير الاقتصاد في حكومة بيغن بعد شهرين من زيارة السادات إلى القدس مشروعاً للتعاون الاقتصاديّ في الشرق الأوسط وتوطين اللاجئين الفلسطينيين في البلاد العربية.
4. اقترح شمعون بيرس عام 1988م على الرئيس الأمريكي اعتماد مشروع مارشال خاص بالشرق الأوسط، لتأسيس الاستقرار والتنمية حسب المخططات الإسرائيلية يهدف إلى دمج إسرائيل في المنطقة وحصولها على الشرعية لوجودها في المنطقة بما يعرف بالسلام الاقتصاديّ الذي يعتبر شمعون بيرس من أوائل روّاده في المنطقة (حسين،1989 :19).

5. عام 1992م وبعد انطلاق مفاوضات بروكسل طرح رئيس الوفد الإسرائيلي هيرشفيليد على مجموعة العمل المشترك برنامج حزب العمل للتعاون الاقتصاديّ، وركزت المقترحات على المشاركة في الموارد الطبيعيّة والبشريّة لتوسيع أسواق الشرق من خلال خبرة استثمارات أجنبية ومن دول الخليج العربي النفطيّة لإقامة صندوق إقليمي مشترك للتنمية (حسين،1989 :20).

كيف أثرت هذه الاستراتيجية على تطور الاستيطان بعد حرب 1967م:

من الواضح أنّ التخطيط لحرب عام 1967م كان أمريكياً إسرائيلياً؛ أي أنّ الامبريالية كانت شريكاً رئيساً للصهيونية، وقد نتج عن هذه الحرب انطلاقة كبرى في التوسع الاستيطانيّ وهذا بدوره أدى إلى تطور الفكر الاستيطاني بعد ما استولت دولة الاحتلال على مساحات شاسعة من الأراضي، ما أدى إلى اتجاهين رئيسين في الفكر الاستيطاني وهما:

1. الاتجاه الأول، والذي يؤيد ربط الاستيطان بالأسباب الأمنية والتركيز على أهداف جيوسياسية في عمليات الاستيطان ومن دعاة هذا الاتجاه (إيجال ألون واسحق رابين وشارون)، (حسين،1989 :47).
2. الاتجاه الثاني، ويؤيد تغليب الاعتبارات الدينية التاريخية على الاستيطان، ويتضح أنّ هذا الاتجاه يعطي الأولوية للاعتبارات العقائديّة والتاريخيّة ومن أبزر مؤيديه (مناحيم بيغن واسحق شامير وموشى ديان).

وتبيّن أنّ هذين الاتجاهين يلتقيان حول الاستيطان، وإن اختلفت دوافع كل فريق، وأنّ هذين الاتجاهين التقيا كذلك حول اعتبار القدس العاصمة الموحدة لدولة إسرائيل بعد حرب عام 1967م، وأصدرت قراراً بضم القدس في 27/6/1967م (حسين،1989 :50).

نستنتج من ذلك أنّ الأهداف الاستراتيجية، هي محط اتفاق لجميع الأطياف السياسية في إسرائيل رغم اختلافها على الأسباب والآليات، وهذا يفسر سر ديمومتها كأساس استراتيجيّ ثابت للصّهيونيّة.

مفهوم الشرق الأوسط:

ظهر مفهوم الشرق الوسط كمصطلح سياسيّ مع ظهور الحركة الصّهيونيّة كحركة سياسية منظمة، تعمل كأداة للاستعمار الإمبرياليّ الغربيّ، وهو مصطلح يُطلق على المنظمة الواقعة بين الشرق الأقصى والشرق الأدنى، حيث تحتل المنطقة موقعاً استراتيجيّاً هاماً بين قارات العالم الثلاث أوروبا وآسيا وإفريقيا؛ فهي تعتبر كموقع جيوسياسي هام وغنيّ بالثروات الطبيعية وخاصة البترول؛ فهي لديها أعلى احتياطات في العالم وكذلك تشتمل على ثروات طبيعية أخرى من أهمها المعادن.

أمّا من حيث الأقطار التي يشملها المصطلح فهي شبه الجزيرة العربية والعراق وإيران وأفغانستان وبلاد الشام.

أمّا الوكالة الدوليّة للطاقة الذرية فعرّفته عام 1989م بأنها المنطقة الممتدة من ليبيا غرباً إلى إيران شرقاً، ومن سوريا شمالاً إلى اليمن جنوباً (حسين،2005: 11) ويعتبر البعض بأنه يضم جميع الدول العربية التي تشملها الجامعة العربية ويضاف إليها إيران.

وللتعمق أكثر في البحث لا بد من الإجابة عن السؤال الآتي:

ما هو الشرق الأوسط؟

من حيث ظهور المصطلح فإنّه صهيونيّ استعماريّ غربي النشأة والأصل جاء لخدمة الصّهيونيّة والامبريالية في مشروعهما الحديث للمنطقة، من أجل تقسيمها والسيطرة عليها وعلى خيراتها، وخاصة التحكم بالموقع والبترول، وأنّ بداية ظهور المشروع والمصطلح في أوروبا كمشروع خارجي وغريب عن المنطقة، ولا ينسجم مع واقعها الجغرافيّ وخصائصها البشريّة والهدف منه خدمة الإمبرياليّة والصّهيونيّة التي ابتكرت هذا المصطلح والذي له أهدافه ومدلولاته. ويهدف هذا المصطلح إلى تغيير وجه المنطقة والقضاء على الهُوية الجمعية التي عرف بها؛ سواء كانت هُوية الأمة العربيّة الممثلة بالقوميّة العربيُة كإطار جامع في المشرق العربي، أو الهُوية الاسلاميّة الجامعة في المغرب العربيّ ليحل مكانه مصطلح جديد، هو مصطلح الشرق الأوسط. كما ويهدف بذلك إلى تمزيق هذه المنطقة جغرافياً وبشرياً؛ ليعزز عملية الفصل بين شرقها وغربها، من خلال إقامة حاجز بشري في فلسطين ليعرقل وحدتها عبر تفتيت هُويتها الجمعية وعدم السماح بقيام نظام عربيّ موحد أو نظام إسلاميّ موحد (حسين،2005: 21). والدليل على ذلك أنّ هذا المصطلح انتقائيّ، يستثني دولاً عربية من النظام المطروح ويضم إليه دول الجوار غير العربيّة مثل: أثيوبيا وقبرص والباكستان وأفغانستان (حسين،2005: 11). الوظيفة الرئيسة لهذا المشروع هي تهيئة شروط الاندماج الأشمل والأوسع للمنطقة في النظام الرأسماليّ العالميّ والتكيف مع متطلبات تراكميّة لتبرير أزمات المنطقة (هلال،1996: 99). يتكون الشرق الأوسط في جوهره من هيكل إقليمي منظم، يخلق أطر جديدة للمنطقة ويوفر القدرة على النمو الاقتصاديّ والاجتماعيّ (بيريس،1994: 63).

كما يهدف المشروع كذلك إلى ضم إسرائيل ودمجها ككيان سياسيّ صهيونيّ في المنطقة؛ ليعطيها الشرعية كمكون سياسي أصيل في التركيب السياسيّ الاجتماعيّ والثقافيّ والاقتصاديّ، كمقدمة لتوليها قيادة هذا التجمع بعد تحويلها من دولة تابعة للإمبرياليّة إلى دولة سائدة في المنطقة، من خلال دورها الإقليمي تعمل لصالح الإمبرياليّة، وتتعامل مع القوى العظمى للمساهمة في إعادة ترسيم خارطة المنطقة الجديدة، لإضعاف الأمة العربيّة والإسلاميّة، وتجزئة الوطن العربي الواحد، وتقوية إسرائيل كدولة تقوم بوظيفة وكذلك إعادة تشكيل شعوب المنطقة على أسس عرقيّة وطائفيّة ومذهبيّة جديدة، لتتحول إلى قوميّات وديانات وحضارات مختلفة، تسهل السيطرة عليها واندماج اسرائيل ككيان صهيونيّ وأداة للاستعمار الإمبرياليّ من أجل خدمة مصالح لا إمبريالية في المنطقة، لتسهل السيطرة على الثروات الطبيعيّة والتحكم بتشكيل حاضرها ومستقبلها (حسين،2005 :21). ويقصد بهذه الفكرة تجزئة الوطن الواحد سياسياً؛ أي تقسيم الدولة الواحدة بعد أحداث مهمة من أجل الدول الكبرى في تطبيق سياستها والسيطرة على الشعوب لخلق كيانات سياسيّة مجزأة وضعيفة اقتصادياً وفق مبدأ «فرق تسد»؛ لتبقى هذه الكيانات مرتبطة من حيث التبعيّة للدول الكبرى. (نوفل،2010 :15).

إنّ هذا المصطلح والنمط الفكريّ الاستعماريّ الذي استهدف الأمة وهُويتها الجمعيّة، لم يظهر فجأة بينما تم بلورتها عبر محطات تاريخيّة مختلفة نذكر منها نماذج للدلالة على بلورة المصطلح والمشروع وما هي الأهداف التي سيصل إليها:

– كتب (تيودور هيرتسل) في يومياته عام 1897م قائلاً: «يجب قيام كومنولث شرق أوسطي يكون لدولة اليهود فيه شأن قياديّ فاعل ودور اقتصاديّ قائد، يكون مركزاً لجلب استثمارات أجنبية ومركزاً للبحث

العلمي والخبرة الفنية» (حسين،2005 :12). ويتبعها مشاريع عدّة، مقدّمة من بن غوريون ووايزمن، هدفت إلى ضمان تدفق الهجرة اليهوديّة إلى فلسطين، وتحويل اليهود فيها إلى أغلبية (هلال، 1996: 82).

- أما ضابط البحرية البريطانيّ (الفرد ماهان)، فقد كتب عام 2091م في مقالة نشرت في لندن عن مصطلح الشرق الأوسط، واستخدمه مراسل صحيفة التايمز اللندنية عام 2091-3091م لتوضيح المفهوم وما الفائدة منه.
- في حين صدر عام 7091م تقرير (كامبل بانرمان) في لندن، وكان يشغل منصب وزير المستعمرات البريطانية – في حينه- واستُخدم تقريره في جدول أعمال مؤتمر عقده مجموعة من علماء التاريخ والسياسة والاقتصاد وشارك فيه عدد من السياسيين الاوروبيين، حيث تناول المؤتمر الوضع في المنطقة العربية وجاء فيه: «يكمن الخطر على الغرب في البحر المتوسط لكونه حلقة الوصل بين الشرق والغرب، ويعيش على شواطئه الجنوبيّة والشرقيّة شعب واحد تتوافر له عوامل وحدة التاريخ واللغة والجغرافيا وكل مقومات الترابط» (حسين،5002 :31).

ويتساءل التقرير عن ما مصير المنطقة لو انتشر فيها التعليم والثقافة والتقدم؛ لأن انتشارها سيشكل خطراً على اوروبا في حال توحّدت. وبذلك يحدد التقرير بأن المعرفة والوعي والثقافة هي عناصر القوة التي تهدد مصالح الغرب في المنطقة وتوّحد شعبها. لذا بدأ التفكير الأوروبي في تجهيل المنطقة، بهدف السيطرة الاستعماريّة على الشرق الأوسط خاصة، وأن المنطقة كانت تحظى بمكانة هامة في التنافس الاستعماريّ بين فرنسا وبريطانيا من أجل السيطرة على طريق الهند التي كان يُطلق عليها اسم «درّة التاج البريطاني»، وتبعها حملة نابليون بونابرت على الشرق، فإنّ هذا التقرير زاد من هذا التنافس ووضع المنطقة على أولويات البرامج الاستعماريّة.

لقد فتح هذا التقرير الباب على مصراعيه للاستيلاء على المنطقة، ودراسة واقعها لاختيار الآليات الأفضل للسيطرة عليها، ومن هذا المنطلق ظهر في لندن عام 1909م كتاب بعنوان (مشاكل الشرق الأوسط) لمؤلفه (هاملتون)، وضع فيه أهمية لأوروبا والعالم، حيث طالب المؤلف بالسيطرة على المنطقة. وفي السياق نفسه أعلن حاكم الهند البريطاني (جورج ناثانيال كورزون) عام 1911م إدارة خاصة للشرق الأوسط وكلفها بالإشراف على فلسطين وشرق الاردن والعراق (حسين،2005 :14). وتم استكمال المسلسل خلال اتفاقيات «سايكس- بيكو» ووعد «بلفور» وأثناء الحرب العالمية الأولى مروراً بصك الانتداب على فلسطين والمنطقة. وفي العام 1922م اقترح الصهيوني (فلاديمير جابوتنسكي)، مؤسس الحركة الإصلاحية الصّهيونيّة بإقامة مشروع السوق الشرق أوسطية، أمّا في ثلاثينيات القرن الماضي تمّ طرح بعض الأفكار لإقامة فدراليّة عربيّة تضم عدد من دول الشرق العربيّ بما في ذلك فلسطين وهذا بعد ضمان أغلبية يهوديّة فيها، وقد تبين أنّ الهدف من هذه المشاريع هو تهدئة مخاوف الفلسطينيين من التحول إلى أقلية في بلدهم بسبب الهجرة (هلال،1996:82)، في حين حدّدت الحركة الصّهيونيّة أهدافها التوسعية منذ مؤتمر بلتيمور عام 1942م، من خلال سيطرتها على الاقتصاد في المنطقة وتزامن ذلك مع انتقال مركز الثقل الإمبريالي من بريطانيا إلى أمريكا.وأثناء الحرب العالمية الثانية استطاع اليهود والصّهيونيّة في بريطانيا وأمريكا تحديداً من غرس فكرة البلدين الشرق الأوسط في سياسة البلدين، رغم طرح فكرة التعاون الاقتصادي في منطقة الشرق الأوسط لأول مرة في 18 تشرين الثاني لعام 1943م في اجتماع وزراء خارجية البلدين في لندن (حسين،2005 :14).

ومن جهة أخرى أعدّ اليهودي الأمريكي (د.إرنست برغمان) أحد تلاميذ (وايزمن) زعيم المنظمة الصّهيونيّة مذكرة قدمها لاجتماع وزراء الخارجية في لندن، اقترح فيها تهويد فلسطين من خلال هجرة اليهود إليها وإقامة دولة اسرائيل، وتحويلها إلى قاعدة صناعية متطورة كأساس للمخططات المستقبلية للولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط (حسين،2005 :14). هذه المشاريع جميعها بقيت خارج إطار التداول الحربيّ وذلك بسبب خضوع المنطقة للاستعمار البريطانيّ والفرنسيّ (هلال،1996: 83).

يُستنتج ممّا سبق، أنّ هذه الأفكار والمشاريع شجعت إسرائيل على تحويل فكرة الشرق الأوسط كفكرة إسرائيلية، من خلال ظهورها كأول مرة في وثيقة اتحاد يهودا التي تضمنت فكرة التصاق فلسطين في اتحاد شرق أوسطي واسع، من خلال مقترح (يهودا غانس)، (ومارتين بوبر)، (وديفيد سينابور)، (وجبرت وليام أيزل) وغيرهم، وأظهرت فيها بشكل واضح التعاون الصهيوني البريطاني لتهجير اليهود إلى فلسطين، كمقدمة لإقامة الوطن القوميّ اليهودي فيها وطرد سكانها وتسكينهم في الدول العربية من خلال استخدام القوة والاحتلال والاستعمار الاستيطاني لفرض الأمر الواقع من خلال اتفاقيات «إذعان» على بعض الأطراف العربية، ليفضي إلى تأسيس الكيان الصهيوني الغاصب على فلسطين العربية، والذي يعتبر تحدياً مصيرياً للعرب والمسلمين، وقد أحدث انفصال فعليّ في التواصل الجغرافيّ بين أفريقيا وآسيا وتشكل استنزاف للموارد الطبيعية ويسهل عملية السيطرة عليها. وقد تحوّل هذا الكيان الغاصب في فلسطين إلى إدارة عسكريّة فعليّة في يد الدول الاستعماريّة المُـمَـثلة للإمبرياليّة، كما خطط ليحُول دون وحدة العرب وتطورهم (حسين،15:2005). وقد عمل هذا الكيان بعد تأسيسه على استكمال المشروع الاستعماري في المنطقة، حيث يُستشف من رسالة أول رئيس لدولة الكيان (بن غوريون) إلى الرئيس الأمريكي بتاريخ 24/7/1958م بهدف الوقوف كسد منيع أمام المدّ الناصريّ القومي في المنطقة، كونها تشكل بؤرة للهُويّة الجمعيّة العربيّة، وكذلك الوقوف أمام التوسع السوفييتي من خلال تشكيل تحالف جديد يضم إسرائيل وتركيا وإيران، لإدخال المنطقة في تحالفات جديدة من شانها تحقيق المخطط الاستعماريّ الدوليّ، لتصبح المنطقة تدور في تلك الصراعات السياسيّة والعسكريّة و تمرر المخططات الهادفة إلى تقسيمها. وقد شهدت فترة الخمسينيات من القرن الماضي فشلاً ذريعا للمساعي الاستعماريّة الغربية في اخضاع المنطقة العربية والهيمنة عليها، وكذلك فشلت مساعي حلف الناتو وحلف بغداد ومشروع جونسون في فرض التعاون المائي بين الأردن وإسرائيل، ويضاف إليها فشل مشاريع توطين اللاجئين الفلسطينيين في البلدان العربية، لتبقى المنطقة تقاوم هذا المشروع، إلّا أنها بقيت ضمن سياسة التجاذبات والأحلاف العسكريّة طيلة فترة الحرب الباردة وما تخللها من صراعات محليّة وإقليميّة وتغيرات سياسيّة (حسن،2005 :15).

جاءت فكرة الشرق الأوسط الجديد للانتقال بالمنطقة من ساحات الحرب والمواجهة إلى ساحات الاقتصاد، وهذا يعني تغيير وجه الاستعمار من القوة الصلبة القائمة على القوة العسكرية والدّبابة إلى استعمار جديد عنوانه الاقتصاد والموارد الطبيعية (البريزات،2008 :13). وتهدف الصّهيونيّة والإمبرياليّة العالميتين إلى إعادة صياغة المنطقة سياسياً وجغرافياً واقتصادياً وحضارياً، وإقامة ترتيبات إقليمية تخدم

الأهداف والمصالح الأمريكية والصّهيونيّة في المنطقة.(البريزات، 2008 :16)، وتمكن إسرائيل من تحصين نفسها من خلال تقوية قدراتها العسكرية؛ لتفرض مزيداً من الهيمنة على الساحات العربيّة من خلال تعهد الإمبرياليّة الأمريكيّة بالحفاظ على أمن إسرائيل وتفوقها النوعي، وعدم السماح باختلال التوازن العسكريّ الذي يمكنها من الحصول على حدود آمنة من خلال التوسع الذي تفرضه دباباتها التي ترسم هذه الحدود الآمنة (البريزات،2008 :13). وإنّ ما تطرحه اسرائيل من أفكار للتسوية السليمة تكون من منطلق قوة آلياتها العسكرية، وبمؤثراتها التي تخضع إلى معطياتها وأهدافها في ترسيم الحدود الآمنة.

يتضح من ذلك أنّ هناك أهدافاً أمريكية من مشروع الشرق الأوسط، وأخرى صهيونية فيها بعض الالتقاء؛ أما الأهداف الأمريكية المعلنة فهي تتلخص في حماية المصالح الأمريكية في المنطقة. الأمر الذي يستدعي سيطرتها على المنطقة بأكملها، وحماية الوجود الصهيوني الذي التزمت به أمريكا في المنطقة وهو الحفاظ على أمن وسلامة دولة الكيان.

ومن أجل تبديد مخاوف أمريكا من حدوث ثورات جديدة في المنطقة تؤدي إلى تغير الأوضاع السياسية بما لا ينسجم مع مواقفها ومصالحها (البريزات،2003: 1) ركزت على استخدام القوة العسكريّة لتحقيقها. وتبين أنّ مخاوف أمريكا وحلفائها في معظمها هي دوافع سياسيّة واقتصاديّة، وهذا يفسر إصرارها على مشروع الشرق الأوسط لأهميته السياسيّة والاقتصاديّة، والتي يجعلها تتمسك برؤيتها لإعادة تجزئة المنطقة التي قُسّمت في اتفاقية «سايكس- بيكو» عام 1916م، ولكن هذه المرة تريد تقسيمها على أسس إثنية وطائفيّة وعرقيّة مستغلة وجود التنوّع والأقليات، من خلال اتباع أساليب مختلفة؛ لتمكن إسرائيل من التحول إلى قوة إقليمية؛ لتقوم بدور قيادي في تحقيق أهدافها الاستعماريّة، مثل وجود كيانات مستلقة للأقليات أو وعودها بالمساعدات لتتحول هذه الأقليات والإثنيات والطوائف إلى أداة من أدوات سياسة الدول الكبرى الخارجية(البريزات، 2008 :2)؛ ليسهل السيطرة عليها، وتمكين الوصول إلى أهداف إسرائيل من مشروع الشرق الأوسط، من خلال النظر إلى ما كتبه بعض الكتاب والخبراء العسكريين من مقترحات شكّلت وجهة نظر لأهداف إسرائيل ومنها:

–ما تطرق إليه الكاتب الإسرائيلي (عوديد ينون) في إظهاره أسباب فشل الصليبيين في الاحتفاظ بالمنطقة، وإخفاقاتهم فيها، واقترح على إسرائيل استخلاص العبر، يقول: «على اسرائيل الاستفادة من هذا الفشل لتجنب المصير نفسه الذي حل بالصليبيين» (حسين،2005 :21). ولتجنب ذلك يوصي بضرورة السيطرة على المقدرات الاقتصاديّة العربيّة، لأهميتها في دعم الحروب ومنع إقامة الوحدة العربية القادرة على القضاء على إسرائيل وخاصة المقدّرات النّفطية، وعدم قدرة العرب على حمايتها الأمر، الذي يخلق فرصة أمام إسرائيل للسيطرة على المنطقة من خلال تحالفات بحجة حماية هذه الثروة النفطية التي من شأنها تعويض إسرائيل عمّا فاتها من فرص، ناتجة عن النظرة السياسيّة الضيقة للعرب، والآراء السياسيّة المتطرفة لليهود، ولتجاوز ذلك يوصيها بالسيطرة على المنطقة ومواردها من خلال بناء معسكر متحالف مكون من الدول العربية وإسرائيل لمواجهة إيران (كلينتون، 2015: 309).

ويتوقع الخبير الإسرائيلي (موشيه ماند لياوم) أن تتحول إسرائيل في ظل السلاّم إلى مركز الأموال العربية والتأمين (حسين،2005 :21).

- أما الجنرال (أمنون شاحاك)- رئيس الاستخبارات الإسرائيلية الأسبق، ورئيس هيئة الأركان – تناول الموضوع في مقال له بعنوان «إسرائيل والشرق الأوسط» نُشر عام 7891م، وتمّت إعادة نشره عام 0002م، يقول فيه: «نبتغي أن تسعى إسرائيل في السنوات القليلة القادمة إلى ترسيخ مفهوم انتمائها إلى واقع الشرق الأوسط «في حين ركز الجنرال (الوف هارايفين) على فكرة اندماج إسرائيل في المنطقة، وأنه إذا ما فشلت إسرائيل في الاندماج فإنه من المشكوك فيه أن تستمر لفترة طويلة (حسين، 5002: 12)، وهذا يبرر هدف إسرائيل بالحصول على شرعيتها في المنطقة، من خلال اندماجها وسيطرتها على الموارد الطبيعية في سعيها للتحول إلى الاستعمار الاقتصادي في المنطقة.

خطط تقسيم الوطن العربيّ حسب مشروع الشرق الأوسط:

بدأ التفكير في وضع خطط لتقسيم الوطن العربيّ قبل إقامة دولة الكيان الغاصب في فلسطين من أجل التمهيد لإقامتها، تقسيم الوطن العربي إلى دويلات ليس بالشيء الجديد بل يعود إلى الأفكار الاستعماريّة خلال العقود الأولى من القرن الماضي، من خلال دور الاستعمار الفرنسيّ والبريطانيّ وخططها للاستيلاء على المنطقة العربيّة. حيث كانت وثيقة (كارينجا) من أقدم الوثائق التي تحدثت عن التجزئة، وتنسب إلى الصحفي الهنديّ (كارينجا)، وتتضمن هذه الوثيقة الإشارة إلى المخطط الفرنسيّ لتقسيم بلاد الشام أيام انتدابها إلى إقامة دولة علوية في اللاذقية ودولة درزية في جبل تدمر، ودولة سنيّة تجمع دمشق وحلب، ودولة مارونية في جبل لبنان، ومن أهم اختلافها عن التقسم الفرنسيّ هو اعتمادها على مساحات أوسع من التصور الفرنسي، وحديثها عن دولة كردية شمال العراق، ودولة قبطية في مصر (حرشاوي،2009 :2). وفي بداية العقد الماضي تُرجمت هذه المخططات إلى واقع من خلال اتفاقيات سايكس- بيكو، التي قسمت المنطقة بشكل فعلي ومخالف لإرادة سكانها، لتخدم أهداف التنافس الاستعماري الفرنسيّ البريطانيّ، والتي تؤكد وجهة نظر الاستعمار بأن الدولة اليهوديّة ستنسجم أكثر في منطقة مجزأة وضعيفة بشكل أفضل من انسجامها في ظل دولة موحدة، لذلك قامت بعملية التقسيم، وزرعت البذور الطائفيّة لعرقلة أي مشروع للوحدة العربية (حرشاوي،2009: 1). ومهدت تلك المخططات الطريق لوعد بلفور الذي أعطته بريطانيا للصّهيونيّة بأحقيتها في إقامة دولة قومية لليهود في فلسطين، ليمهد هذا الوعد الطريق للسياسة البريطانيّة لدعم إقامة دولة الاحتلال الغاصب في فلسطين عام 1948م، لتشكل هذه الدولة الوليدة رأس حرب للإمبرياليّة العالميّة لتحقيق أهدافها الاستعماريّة في المنطقة. وقد ظهر دعم قيادة الدولة الوليدة في مواقف قيادتها؛ ومنها تصريحات (شلوموا أفنيري) المدير العام لوزارة الخارجية الإسرائيلية مع بداية اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية، والذي حثّ فيه على افشال المخططات العربية الرامية إلى تحويل منطقة الشرق الأوسط إلى منطقة عربية إسلامية، والذي وقفت ضده الصّهيونيّة بإنشاء دولة إسرائيل (حرشاوي،2009 :2) وما زالت تعارضه. وبذلك تكون الإمبريالية والصّهيونيّة قد نجحت من خلال آلياتها ووسائلها في إقامة حاجز بشريّ غريب وقوي؛ ليفصل بلدان المشرق العربيّ عن بلدان المغرب العربيّ، ومنع وحدته من خلال القوة الغربيّة التي فُرضت على المنطقة، وهي دولة الكيان الغاصب وقريبة من قناة السويس ومعادية لشعب المنطقة وصديقة لأوروبا، وتعمل على تجزئة الوطن العربي إلى كيانات متعددة بهدف السيطرة على الموقع الجيوسياسيّ الهام

للوطن العربي وعلى قناة السويس، وهذا يمكّنها من نهب ثروات المنطقة العربيّة والحيلولة دون تطورها أو وحدتها. وقد عملت الصّهيونيّة منذ بدايات القرن الماضي على الترويج لمصطلح الشرق الأوسط ليحُل محل الوطن العربيّ الواحد والشعب الواحد والأمة الواحدة، ويشرف إضافة إلى قناة السويس على الممرات المائيّة الاستراتيجيّة الأخرى مثل باب المندب، وخليج العقبة، ومضيق هرمز، كونها ممرات مائيّة عالميّة. ويأتي هذا المخطط للسيطرة على المنطقة، بسبب خشية الصّهيونيّة والاستعمار الامبريالي من توحد المنطقة في دولة اتحادية قوية وغنية مسلحة بالثروات الطبيعية والقومية العربية والاسلامية كهوية جامعة، ليحل مكانها هويات فرعية عرقية وطائفية ومذهبية، وبهذا تكون الإمبريالية والصّهيونيّة نجحت في تحويل الوطن العربي من الهويّة الجمعيّة العربيّة الإسلاميّة إلى الهوية الوطنيّة، وهي الآن عازمة على تحويل الدولة الوطنيّة إلى دول مذهبيّة وطائفيّة وعرقيّة. وبعد تهيئة الأمر من خلال القضاء على الهُوية الجمعيّة، يتمّ ضم دولة إسرائيل إلى مجموعة الدويلات في الشرق الأوسط بعد تفتيتها لتدمج بصورة فعليّة في الشرق الأوسط، وتكون ضمن النسيج الاجتماعيّ له (البريزات،2008: 13) وتأخذ موقعاً قيادياً في التشكيل الجديد. فإذا ما وجُـــدت دولة سنيّة، وأخرى شيعيّة، وثالثة درزيّة، ورابعة مارونيّة، وخامسة قبطيّة، يسهل استيعاب دولة يهوديّة في النسيج الاجتماعي للشرق الأوسط. في حين ذهب البعض إلى توسيع حدود مصطلح الشرق الأوسط لتشمل دول الشرق الأوسط والشرق الأدنى ودول شمال إفريقيا، ليطلق عليه اسم الشرق الأوسط الكبير، أو الشرق الأوسط الجديد أو غيرها من المسميات ولكن يبقى الميدان الرئيس للمصطلح هو الشرق الأوسط وإن اختلفت التسمية؛ فالهدف واحد، ويتمثل بالعمل على تفتيت المنطقة إلى دويلات صغيرة لا تستطيع حماية نفسها وتكون إسرائيل هي الدولة القوية والحاصلة على الشرعية التي بإمكانها فرض إرادتها وهيمنتها في الشرق الأوسط (البريزات،2008 :12) ويبرز الحاجة إلى دورها القياديّ من خلال خلق أسرة من الأمم الإقليمية ذات سوق مشتركة وهيئات مركزيّة مختارة على غرار الجماعة الأوروبيّة، الحاجة لهذا الإطار الإقليميّ تقوم على أربعة عوامل جوهريّة؛ الاستقرار السياسيّ والاقتصاديّ، والأمن القوميّ وإرساء الديمقراطية (بيريس،1994: 65). ويعود الأساس في تقسيم المنطقة والهيمنة عليها، بسبب قربها المكاني من أوروبا، لذلك كان الاهتمام بأن تبقى في حالة من التخلف والانحطاط وإيجاد صراعات إثنية وطائفيّة وعرقيّة فيها للقضاء على كل ما يوحدها وخاصة هويتها العربية الجمعية من خلال استغلال التنوع الثقافي للتركيب السكاني، فبدل أن يكون عنصر قوة ناتجة عن التعدد تحوّلت إلى عنصر ضعف بسبب الخلافات التي من شأنها القضاء على التاريخ العربيّ المشترك وإيجاد هُويات متعددة، ولم يقتصر ذلك على البعد السياسيّ والاقتصاديّ، بل يضاف إليه بعداً أمنياً وعقائدياً (حسين،2005 : 10). ويُستدل من خطط التقسيم بأنها تهدف إلى تمزيق الوطن العربيّ وتفتيته من أجل السيطرة الاستعماريّة عليه وإبقائه في حالة من الانحطاط والتخلف والصراع؛ ليسهِـــل عملية اندماج دولة الكيان الصّهيونيّ فيه، وفرض هيمنتها عليه من أجل المصالح الاستعماريّة الإمبرياليّة في الحصول على الثروات الطبيعيّة والتحكم في الممرات المائية الدوليّة، وبذلك تتحول إسرائيل إلى قوة إقليمية تقوم بدور قياديّ لصالح الإمبريالية في منطقة الشرق الأوسط.

النشاط الصهيوني في أمريكا:

اعتمدت الصّهيونيّة على الدعم البريطاني كممثل للإمبرياليّة حتى مطلع أربعينيات القرن الماضي، واستطاعت من خلال هذا الدعم الحصول على بلورة الرؤية السياسيّة والقانونيّة والفكريّة من خلال تجميع

اليهود حول الصّهيونيّة، وتحديد فلسطين كمكان لبناء الوطن القوميّ حسب وعد بلفور وتقسيم الوطن العربي، وبدأت في تهجير اليهود إليها الذين استطاعوا بناء مؤسسات استيطانيّة وأمنيّة وسياسيّة على أرض فلسطين. وعندما اعتقدت الصّهيونيّة بأن القوة الامبرياليّة البريطانية بدأت في التراجع لصالح صعود القوة الامبريالية الأمريكية، بدأت بنقل مركز ثقلها ونشاطها إلى أمريكا ابتداء من عقد مؤتمر بالتيمور عام 1942م، للحصول على إسناد الولايات المتحدة الأمريكيّة بهدف إقامة الدولة اليهوديّة. ولتحقيق هذا الهدف وضعت الحركة الصّهيونيّة خطة لسلوكها في أمريكا من أجل كسب تأييد المجتمع الأمريكي ومؤسساته لفكرتها (صفوة،1967 :14)، وكان من ضمن خطها إيجاد الطريق لكسب الرأي العام الأمريكي والطريق إلى كسب تأييد الكونغرس، لتمهيد الطريق إلى كسب الحكومة الأمريكية ومن أجل تحقيق المهمة الأكثر تعقيداً وهي كسب الرأي العام الأمريكي استعانة بمجموعة من المؤسسات وأهمها مجلس الطوارئ الصهيونيّ الأمريكيّ ولجنة فلسطين الأمريكية والمجلس المسيحيّ لشؤون فلسطين، الذي كسب عطف رجال الدين في الكنيسة البروتستانتية.

بذلت الصّهيونيّة جهوداً كبيرة لكسب مؤازرة رجال الإعلام والصحافة الأمريكيّة لتجنيدهم في هذه المهمة (صفوة،1967 :15)، وقد كان العام 1943م الذروة لهذه النشاطات، والتي أدت إلى إدخال الفكر السياسيّ الصهيونيّ في مجالات الحياة الأمريكيّة، وأصبح على أولويات اتحادات العمل والمجالس النيابية في الولايات المختلفة نتيجة لهذا النشاط (صفوة،1976: 15)، وقد أفضت الاتصالات بالحزب الجمهوريّ والديمقراطيّ، أن اتخذت 33 ولاية قرارات مؤيدة للصّهيونيّة، واتخذت مثل هذه القرارات في مؤتمر المنظمات الصّهيونيّة واتحاد العمال الأمريكيّ، الأمر الذي مهّد في انتخابات عام 1944م بأن تبنى الحزبين الجمهوريّ والديمقراطيّ شعارات مؤيدة للصهيونية، وساهمت في خلق اسناد شعبيّ أمريكيّ للصّهيونيّة بين الأمريكيين (صفوة،1976 :16)، وبهذا تكون الصّهيونيّة قد نجحت في كسب تأييد الشعب الأمريكي، ووضعت قضيتها على أجندة الأحزاب الكبيرة، لتكون قد تحولت إلى رأي عام مساند، وبإسناد الشعب الأمريكيّ والكونغرس تكون الطريق مُهّدت لإسناد الحكومة الأمريكيةّ وقد ساهم في بلورة المشروع بالدرجة الأولي، الإطار الفكريّ الذي بلور المصالح المشتركة والتعاون الإمبرياليّ الصهيونيّ، والتي قام بتناولها خبراء عسكريون وكتّاب. ومن أشهر الوثائق التي استندت بالأساس إلى التنافس الاستعماريّ الفرنسيّ البريطانيّ هي وثيقة (كارينجا)، وتوصيات مؤتمر (كامبل بنرمان) في لندن، وتبعها برنامج (برنارد لويس)، الذي اعتُمد في الكونغرس الأمريكيّ عام 1983م، ووثيقة (عوديد ينون)، التي نُشرت في مجلة (كيفونيم) الناطقة الرّسمية باسم الصّهيونيّة العالميّة في القدس والتقارير الاستراتيجيّة للأمن القوميّ الأمريكيّ، الصادرة عاميّ2002م و2006م وتقرير مؤسسة راند للعام 2017م، والعديد من التقارير الأخرى التي صدرت من مراكز الأبحاث الصّهيونيّة والأمريكية والتي تناولت موضوع السيطرة على منطقة الشرق الأوسط وتقوية إسرائيل.(آيزنكوت، غادي و سيبوني، غابي،2019: 54).

أهداف مشروع الشرق الأوسط:

مشروع الشرق الأوسط الذي يروَّج له صهيونياً وأمريكياً على أنه سيجلب الرفاه الاقتصادي والسلاّم، وأنّه يهدف إلى قيام هيكل إقليميّ منظم جديد للمنطقة العربيّة تحت ادعاء توفير القدرة على النمو الاقتصاديّ والاجتماعيّ، وإخفاء نيران التطرف الدينيّ، وتبرير رياح الثورة الساخن (بيريس،1994: 63)؛

فأهدافه الحقيقية على الوطن العربي مشرقه ومغربه تأتي في إطار معاكس تماماً لهدم المرجعية القومية، وتحقيق الأهداف الآتية:

1. المس بالأمن القوميّ العربيّ من خلال هدم المرجعيات والهُويّة الجمعيّة العربيّة والإسلاميّة وتغيير الحدود والثقافة لإلغاء كل ما هو موحد وجامع في هذه المنطقة (عدره،2015 :222).
2. تجزئة الوطن العربيّ من جديد وتفتيت الكيانات السياسيّة، وتقليص دور الدول المحورية فيه وهي العراق وسوريا ومصر لكي لا تستطيع أن تؤثر أو تقود القومية العربية (عدره،2015 :223)، من خلال تحويلها إلى مذاهب وأعراف وطوائف متصارعة ضمن دويلات صغيرة؛ ليسود فيها الضعف والتخلف والتفتيت. وبذلك تكون قد ألغت الثقافة العربية والإسلامية والعادات والتقاليد والسلوكيات لإعادة صياغتها بشكل يتناسب والمشروع الصهيو- أمريكيّ على أسس طائفية ومذهبية وعرقية.
3. الحفاظ على أمن إسرائيل وتفوقها النوعي من خلال اعطائها أسلحة متطورة خاصة في ميدان الطيران والصواريخ الحديثة والقنابل الذكية؛ لتمكنها من التفوق النوعي الذي يمكنها من ضرب جيوش المنطقة العربية كافة، وتحويلها إلى قطب إقليمي رئيسي عن طريق التسليح وكسر طوق المقاطعة العربية لها، وتكون بذلك مهيئة كقوة رئيسة في محيط طائفيّ عرقيّ مذهبيّ ضعيف للاندماج، فيه والقيام بدور قياديّ لصالح الإمبريالية (أبو شريف، صحيفة الأيام، ص3)، (عدره،2015: 232)،(حسين،2005: 9).
4. إلغاء الُهويّة الجمعيّة المتمثلة في القوميّة العربيّة أو الإسلاميّة، وتحويلها إلى هُويات طائفيّة وعرقيّة ومذهبيّة وإلغاء العادات والتقاليد والثقافة؛ لتكون مهيئة لإعادة التشكيل بثقافة جديدة وهُويّة جديدة (عدره،2015 :232).
5. ضمان عدم التحاق أو ذوبان للأقليات والطوائف والمذاهب في أي بلد أو نظام من بلدان الشرق الأوسط.
6. افساح المجال أمام دولة الكيان الغاصب للتدخل والتغلغل في هذه المنطقة لضمان حقوق الأقليات، وبذلك تكون الأقليات ضمن مشروع الشرق الأوسط طريقة لتشريع وجود إسرائيل وشرعيتها كدولة يهودية وتبقى على المنطقة منطقة حروب وصدامات، وبذلك تكون هذه الأهداف قادرة على إعادة صياغة المنطقة جغرافياً وسياسياً واجتماعياً واقتصادياً، لإقامة ترتيبات أمنية واقتصادية إقليمية تخدم المصالح والأهداف الأمريكية والصّهيونيّة في المنطقة ضمن مشروعها الجديد.

إنّ ترسيم حدود المنطقة حسب مشروع الشرق الأوسط تجري في مختبرات علمية خارجية وتُهندس من قِبل إسرائيل وأمريكا لخدمة مصالحها الاستعماريّة الظاهرة في أهداف ثلاثة، وهي:

1. انعاش الاقتصاد الأمريكي من خلال الصراع الاقتصاديّ مع أوروبا واليابان وأمـــــرَكت العالم من خلال الشركات متعددة الجنسيات.
2. حفظ أمن إسرائيل والقضاء على كل المهددات التي تواجهها في المنطقة والإقليم من خلال

القضاء على حركات التحرر الوطني.

3- الحفاظ على المصالح الاستعماريّة وانجاح مخططاتها للسيطرة على النفط والثروات الطبيعيّة، والممرات المائيّة، والأسواق التي تصب في البند الأول وهو تقوية الاقتصاد الأمريكيّ.

ويضاف إلى ذلك الأهداف الاستراتيجيّة الصّهيونيّة الداخلية والتي لها علاقة بالاستيطان، حيث تحاول إسرائيل إعادة توزيع سكانها من خلال السيطرة الاستيطانيّة على الأراضي الجبلية وطرد السكان الفلسطينيين والسيطرة على الموارد المائية من بئر السبع حتى الجليل الأعلى (الدولة، محمد سيف،1982 :6).

مـــا هـــــو الـــمـــــشروع الصهيو- أمريكي؟

مشروع الشرق الأوسط هو مشروع صهيونيّ أمريكيّ يستهدف تغيير أوضاع المنطقة لمصلحة التحالف الاستعماري الوطيد، ودفع المنطقة إلى التفتيت أكثر وأكبر لإعادة تركيبها في إطار نظام شرق أوسطيّ جديد، من خلال منظومات ومناطق تعاون اقتصاديّ أمنيّ، وتعزيز فصل الشرق العربيّ عن الغرب العربيّ وشمول إسرائيل بهذا المشرق الجديد، الذي يشكّل على أسس عرقيّة وطائفيّة ومذهبيّة وتشكّل إسرائيل أساس نسق تعاون اقتصادي وأمني، وفصل العراق عن المنظومة العربيّة.

إنّ الأمن الحقيقي لدولة الكيان الغاصب حسب وجهة نظر الصهيو- أمريكية لا يمكن أن تستقر ما دام في المنطقة هُـــــــوية جمعية في الإطار العربي أو الإسلاميّ وطالما وجدت دول عربية كبيرة ومؤثرة (عبد الرحمن،2007: 2). كما أنّ الأمن المطلق لدولة الاحتلال الغاصب يكمن في نجاح المشروع الصهيو-أمريكي في تغير الهُويّة الحضاريّة للمنطقة العربية إلى هُويّة شرق أوسطيّة، وتغيير تركيبتها السياسية والاجتماعيّة إلى فسيفساء طائفيّة وإقليميّة وجهوية ومذهبيّة وعرقيّة، تجعل من إسرائيل الدولة الطائفيّة الأقوى في الشرق الأوسط. ويتشكل المشروع في جوهره من إعادة تقسيمات المنطقة التي قُسّمت فعلاً في سايكس-بيكو، ولكن هذه المرّة يكون التقسيم على أسس عرقيّة وإثنية ومذهبيّة لتضمن استمرار السيطرة الاستعماريّة في المنطقة للمرحلة القادمة (عدره،2015 :226). وإلى رؤية مستشار الأمن القوميّ الأمريكيّ (زبيغنيو بريجينسكي) بين الأعوام 1981-1977م، والتي سبقت برنامج (برنارد لويس)، وما أطلق عليه (قوس التوتر) في المنطقة الممتدة من أفغانستان مروراً بآسيا الوسطى وأوكرانيا وتركيا وصولاً إلى المشرق العربيّ، ومن واد النيل إلى باب المندب لتشمل 37 دولة إذ قال: «أنّ ما يسهل سيطرتنا على القوس، عامل مهم جداً وهو أنّ هذا القوس تتكون شعوبه من انتماءات دينيّة ومذهبيّة وطائفيّة متنوعة، وهذا ما يجب أن نعمل عليه»(عدره،2015: 226). وذكر عن سوريا بأنّه يجب خلق حالة من الفوضى الشاملة تسير من سيء إلى أسوأ، بمساعدة بعض الأنظمة العربية وحلفائنا الغربيين، حيث تمنح هذه الحالة الولايات المتحدة فرص استمالة إيران إلى اتفاق شامل يتضمن الملف النووي الإيراني وينتهي لمصلحة إسرائيل. وتعتمد أمريكا وإسرائيل على مبدأ الحرب الوقائية في التعامل مع الأخطار بدلاً من سياسة الردع النووي والدفاع الذاتي، وقد كان احتلال العراق عام 2003م ضمن هذا المبدأ، وانفصال جنوب السودان كان في دوره تفكيكاً لهذه الدولة، مروراً بما حصل في تونس ومصر وليبيا واليمن والبحرين ... الخ. وجاء هذا في إعادة النظر في الخارطة الجيوسياسيّة في الشرق الأوسط، مما يتيح تفكيك بعض الدول المركزيّة وتمكين دول الأطراف من أداء دور مركزيّ بحماية أمريكيّة في ومواجهة الدول الرئيسة في الإقليم العربيّ (عدره،2015 : 224)، كما أنّ الهيمنة على العراق من خلال القوة العسكرية

وتحويله إلى نقطة انطلاق مركزية في التحرك الصهيو- أمريكي، جاء لإعادة ترتيب وتركيب أنظمة حكم جيدة، وإن تفكيك بعض مؤسسات المجتمع المدني في الدول العربية التي تعارض الأجندة الأمريكية الصّهيونيّة، في حين دعم المؤسسات التي تتقبل هذه الأجندة تحت غطاء الأمركة الليبرالية والديمقراطية مثلما حصل في مصر والأردن والسعودية ودول الخليج. ويتفق ذلك مع ما قاله الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب، حيث قال: «نسعى إلى تشكيل العالم وليس مجرد أن يشكلنا هو، وأن تسير الأحداث نحو الأفضل بدلاً من أنْ تكون تحت رحمتها» (عدره،2015: 225)، وقد تحدثت هذه الوثيقة التي أعلن عنها الرئيس الأمريكي عن الحرب الاستباقية وفي مقدمتها الإسلام، حيث الصّراع ضد الإسلام الراديكالي وما تبعها من الحرب على الإرهاب التي أصبحت في صلب الدبلوماسيّة الأمريكيّة والصّهيونيّة، لتصنع العلاقات مع بعض الدول بالمساعدات والتعاون الاقتصادي ،أمّا البعض الآخر فمن خلال اللجوء إلى الحرب العقائدية مثل افغانستان نموذجاً.

أمّا بخصوص التقسيم فقد كان واضحاً في وثيقة (عوديد ينون) بعنوان (استراتيجية اسرائيل في الثمانينيات، فقد تحدث فيها عن واقع العالم العربيّ المقسم والذي ما زال متنوع وغير منسجم نتيجة وجود طوائف وأعراق تعاني من الظلم والفقر والجهل، وأنها تشكل تحدياً وفرصه عظيمة إذا ما تم استغلالها (الدولة، محمد سيف، 1982: 2)، إنّ التركيبة السياسية الجديدة حسب المشروع الصهيو- أمريكيّ تتحدث عن مصر وعن الدولة القبطية فيها لتكون النواة من خلال تقسيمها إلى أقاليم جغرافيّة منفصلة وضعيفة، وتفتيت ليبيا التي تكاد تكون خالية من السكان لمنعها من الانضمام إلى أي إطار وحدوي. والسودان التي تتكون من أربع مجموعات سكانية منفصلة وتكاد تكون الأسهل، وتَطرق إلى سوريا حيث أنّ التنوع فيها لا يختلف عن لبنان والميزة الوحيدة فيها، هي النظام العسكري القوي الذي يحكمها، وأن تنوعها الطائفي يدل على مدى الخطورة فيها، وأنّ تفكيك العراق وسوريا ضمن دويلات ذات طابع دينيّ مستقل، كما هو الحال في لبنان هو هدف المشروع الصهيوني- أمريكي في الجهة الشرقية (الدولة، محمد سيف،1981: 3).

أمّا السعودية ودول الخليج فهي قائمة على بناء هش ليس فيها سوى البترول التي تعجز عن حمايته، وهي بحاجة إلى الأمريكان للحفاظ على واقعها. في حين تعاني الجزائر من انقسام بين البربر والعرب، وصراع مع المملكة المغربيّة بسبب الصحراء الغربيّة. وإيران وتركيا وباكستان وأفغانستان تعاني من شروخ إثنيّة وطائفيّة وعرقيّة، ولديها مشاكلها الداخليّة والخارجيّة. أمّا الأردن والذي يتكون من أقلية بدوية مسيطرة وأكثرية فلسطينيّة تعمل في الجيش والجهاز الإداري والاقتصادي، فتشكّل هدفاً استراتيجياً لتفتيتها، وتصفية النظام الملكيّ فيها والعبث في تركيبها الاجتماعيّ، ودفع السكان الفلسطينيين غرب النهر إليها.

إن زيادة معدلات الهجرة في المناطق وتجميد النمو الاقتصاديّ، هو الضمان لإحداث تغييرات على ضفتي النهر، لذلك نجد إسرائيل ترفض بشكل مطلق أيَّ مشروع أو تسوية في المناطق الفلسطينية غربيّ النهر حتى ترى إسرائيل أنّ التعايش والسلام يمكن تحقيقهما من خلال التسليم بوجودها وشرعيتها وسيطرتها على غربيّ النهر، وأن أمن العرب يتحقق فقط في الأردن (الدولة، محمد سيف،1982 :5).

نجد أن فكرة تفتيت الوطن العربي وإلغاء هُويته الجمعيّة استندت بالأساس إلى أفكار (تيودور هيرتسل) الأب المؤسس للصّهيونيّة عندما قال عام 1904م عن الحدود: «تحدثنا في الأمر نريد من النيل إلى الفرات، وأن ما يلزمنا ليست الجزيرة العربية الموحدة ، وإنما الجزيرة العربية الضعيفة والمشتتة والمحرومة

من إمكانيات الاتحاد (عبد الرحمن،2007: 2)، وأن الخطورة في المشروع الصهيو- أمريكي أنّه يتعدى فلسطين ليمس الأمن القوميّ للوطن العربيّ بأكمله وإضعافه، وأنّ وطناً عربيّاً مفتتاً ومتخلفاً وضعيفاً، يسمح للصّهيونيّة بأن تلعب دوراً سياسيّاً واقتصاديّاً وأمنيّاً وثقافيّاً على امتداد المنطقة، وهذا هدف مشروع الشرق الأوسط.

المخاوف الصهيو- أمريكيّة في الشرق الأوسط:

أظهر الأمريكيون خوفاً متماهياً من فشل مشروع الشرق الأوسط، وخاصة بعد الفشل الذي مُنيت به الحرب على العراق التي تم احتلالها عام 2003م، وكذلك الفشل في أفغانستان والانسحاب المذل منها بعد مفاوضات مع حركة طالبان، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الملف النووي الإيراني الذي مازال يراوح مكانه، وظهر عجز إسرائيل وأمريكا في وضع حد لحركات التحرر الوطنيّ في لبنان وفلسطين، ويمكن حصر المخاوف الأمريكية الإسرائيلية في التخلي الأمريكي ولو بشكلٍ جزئي عن ربط الإسلام بالإرهاب بشكل مختلف عمّا طُرح عام 2001م، وظهر في وثيقة الأمن القوميّ الأمريكيّ عام 2010م، وتحويل المصطلح إلى الحرب العالميّة واختزال ذلك في منظمة القاعدة، وقد أدى ذلك إلى تخليها عن فكرة الحرب الاستباقية، أو ما يُطلق عليه عقيدة بوش الاستباقية، وأن فشلها في العراق وأفغانستان لا يشجع على نجاحها في دول شرق أوسطية إسلاميّة قوية (وهيب،2010 : 75).

إنّ نتائج الحرب على لبنان عام 2006م أظهرت عجز الولايات المتحدّة، وعدم قدرتها كدولةٍ عظمى في مساعدة إسرائيل كما حصل في السابق، حيث استمرت الحرب ثلاثة وثلاثون يوما دون الوصول إلى نتائج عسكريّة أو أمنيةٌ تُذكر، وقد أدّت هذه الهزة إلى مراجعة الاستراتيجيّة العسكريّة الإسرائيليّة (وهيب، 2010: 75). كما أنّ الحروب الإسرائيلية على قطاع غزة في الأعوام 2008، 2012، 2014م، ولمواجهات المستمرة في الضفة الغربية والشيخ جرّاح وعدم قدرة إسرائيل على تحقيق أيّ حل أو معالجة، واتجاهها إلى اجراءات الحصار أظهر عجزها، وشكّل مخاوف لدى الولايات المتحدّة الأمريكيّة.

وبتحليل ما سبق، يمكن تفسير النتائج في واحد من الاتجاهيين الآتيين:

- إمّـــا أن تتراجع الولايات المتحدة وتنهي تواجدها العسكريّ في منطقة الشرق الأوسط، أو على الأقل تقليصه لإيجاد حيز لإسرائيل لممارسة دورها الوظيفيّ الذي يضفي على وجودها الشرعية في ظل الانقسامات الطائفية والمذهبية والعرقية في المنطقة.
- أو يستمر الفشل العسكريّ والتضخم الاقتصادي والذي سيؤدي يوماً ما إلى انهيار إمبراطوريتها حسب نظرية الدورة التاريخية (لأرنولد توينبي).

الخاتمة:

في نهاية هذا البحث الذي يناقش نشأة الصّهيونيّة واستراتيجيتها في المراحل المختلفة مع التركيز على الاستراتيجيات المعاصرة، ومنها طبيعة العلاقة بين الصّهيونيّة والإمبرياليّة، فإن فكرة تقسيم الوطن العربي على أُسس عرقيّة ومذهبيّة هدفت إلى تمزيق المنطقة من خلال حروب داخلية لإضعافها وتقوية دولة الكيان الغاصب؛ لتقوم بدور جديد لصالح الاستعمار لنهب خيرات الوطن العربي والسيطرة عليها، وتحويل إسرائيل إلى دولة إقليميّة قويّة ومتفوقّة، ودمجها في المنطقة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً لصالح القوى

الاستعماريّة الكبرى. واختراع مصطلحات جديدة لهدم المرجعيات القديمة المستندة إلى الهُوية الجمعيّة العربيّة الإسلاميّة، لإعادة تفكيك وتركيب المنطقة لخدمة إسرائيل التي تعهدت الإمبريالية الأمريكيّة بالحفاظ على أمنها، وتفوقها النوعيّ وتوسيع نفوذها العسكريّ والأمنيّ لتعويض النقص في مواردها البشرية. وقد واجه الباحث العديد من الصعوبات؛ لتشابك المعلومات والأفكار، ولطرح العديد من الرؤى، من أجل الوقوف على أهداف المشروع الشرق أوسطيّ وتفصيلاته، والأساليب التي اتبعتها والتخوفات التي يواجهها المشروع نتيجة لجوانب الفشل التي مُني بها، فمهما كان فإن هذا المشروع ليس قدر المنطقة وبالإمكان تعطيله وإفشاله.

يوصي الباحث إجراء المزيد من الأبحاث حول استراتيجيّة الصّهيونيّة والمشروع الصهيو- أمريكيّ وتداعياته على المنطقة، والسبل الكفيلة بتحسين الأوضاع التعلميّة والاقتصاديّة والسياسيّة لتكون آليات لإفشال هذا المشروع ورفض الخطط الاستعماريّة الغربيّة كافة، وعدم الموافقة على دمج إسرائيل أو التطبيع معها كونها جزء غريب عن المنطقة، هدفها تحقيق الأهداف الاستعماريّة من خلال وظيفتها الأمنيّة والاقتصاديّة.

- **البـيبلـــــيوغرافيـــا**
- **الكتب المقدسة**
- **العهد القديم.**

المراجع العربية المطبوعة:

(1) بيريس، شمعون.(1994).**الشرق الأوسط الجديد**،ط1 (ترجمة محمد حلمي عبد الحافظ). المملكة الأردنية الهاشمية، عمّان: الأهلية.

(2) حسين، عدنان السيد.(1989). **التَوسُّـــــع في الاستراتيجيَّة الإسرائيليَّة**، لبنان: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.

(3) حسين، غازي.(2005). **الشرق الأوسط الكبير بين الصّهيونيّة العالمية والإمبريالية الأمريكية**، دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

(4) صفوة، نجدة فتحي.(1967). **اليهود والصّهيونيّة في علاقات الدول الكبرى**، بغداد: مطبعة الحكومة.

(5) كلينتون،هيلاري رودهام.(2015). **مذكرات هيلاري كلينتون- خيارات صعبة**، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

(6) م. رابكِـــنْ، يعقوب.(2021). **معنى إسرائيل**، (ترجمة وتقديم حسن خضر). رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية «مدار».

(7) المسيري، عبد الوهاب.(1999). **موسوعة اليهود واليهودية والصّهيونيّة**،مج6، القاهرة: دار الشروق.

(8) نوفل، أحمد سعيد.(2010). **دور إسرائيل في تفتيت الوطن العربي**،ط2، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، لبنان.

(9) هلال، جميل.(1996). **استراتيجيّة إسرائيل الاقتصاديّة للشّرق الأَوسط**،ط2،بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

الرسائل العلمية :

(1) **البريزات، رايق سليم.(2008). مشروع الشرق الأوسط الكبير والسياسة الخارجية الأمريكية -الأهداف والأدوات والمعوقات-(رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، عمّان، المملكة الأردنية الهاشمية.**

(2) **الكعيبر، هاني فهاد.(2013). الفكر السياسي الصهيوني وأثره على الصراع العربي الإسرائيلي في مرحلة السلام1991-2013** (رسالة ماجستير غير منشورة)، قسم العلوم السياسية، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، عمّان، المملكة الأردنية الهاشمي.

الصـــحـــــف:

(1) **أبو شريف، بسام.(2017، نيسان17). استراتيجية اسرائيل للسنوات القادمة: «هيمنة الإمبريالية الإسرائيلية على الشرق الأوسط بتحالف مع دول عربية تسير في فلكها».. و» التصدي لهذه الاستراتيجية منذ الآن لا يتم الا بالهجوم الدفاعي». صحيفة رأي اليوم. تم الاسترجاع من موقع https://www.raialyoum.com/wp-admin/post.php?post=657296&action=edit**

(2) عبد الرحمن، أسعد.(2007، نوفمبر8).المشاريع «الصهيو- أمريكية «لتفتيت المنطقة. صحيفة الاتحاد. تم الاسترجاع من موقع https://www.alittihad.ae

المجـــــلات :

(1) عدره، خلدون.(2015).المشروع الصهيوني-الأمريكي وتداعياته على الوطن العربي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية،المجلد31(1):254-217.

(2) النايف، حسام جميل.(2019). أثر العامل الديني في التحيز الأمريكي للصهيونية والكيان الصهيوني، مجلة دمشق، المجلد35(1):258-237.

(3) وثيقة عويد ينون.(1982)،مجلة كيفونيم،(عدد شباط،1982)، وتم إعادة نشرها في مجلة الكتاب12نوفمبر عام 2015، /2015/11/18 https://kitabat.com/

(4) وهيب، حسين حافظ.(2010).استراتيجية الإدارة الأمريكية الجديدة إزاء الشرق الأوسط. دراسات دولية، جامعة بغداد،(45): 75-49.

مصادر الشبكة العنكبوتية :

(1) آيزنكوت، غادي وسيبوني، غابي.(2019).توجيهات لاستراتيجية الأمن القومي الإسرائيلي، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى Available ،On-line :

https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/twjyhat-lastraty-jyt-alamn-alqwmy-alasrayyly

(2) حـــــرشاوي، ابراهيم.(2009).الدور الصهيوني في تفكيك الأمة، لائحة القومي العربي ،On-line Available:

http://qawmi-jathri.net/2009/12/27/%D8%A7%D /

(3)خطة برنارد لويس المزعومة لتقسيم الدول العربية، TRT عربي، On-line 2019، Available :

https://www.trtarabi.com/

(4)سويلم،حسام.(1999). استراتيجية إسرائيل لتحقيق غاياتها وأهدافها القومية المستقبلية، On-line، Available : https://www.albayan.ae/opinions/1999-07-02-1.1093708

(5)الدولة، محمد سيف، الوثيقة الصّهيونيّة لتفتيت الأمة العربية(2017) On-line، Available :

https://www.farahnewsonline.com/?mod=news&id=59323